

بيداغوجية الدرس الفلسفي

Pedagogy of The Philosophical Lesson

د.شادلي هواري

جامعة سعيدة الدكتور مولاي الطاهر (الجزائر)، houari.chadli@univ-saida.dz

تاريخ النشر: 2025/05/28

تاريخ القبول: 2024/11/06

تاريخ الاستلام: 2024/04/06

الملخص: من المسائل التي تشغل اهتمام الباحثين في ميدان الفلسفة من أساتذة جامعيين وباحثين أكاديميين واقع الفلسفة اليوم، خاصة وأن المجتمعات تعرف تطورا هائلا في ميادين العلم والتكنولوجيا، مما دفع بالكثير للتساؤل عن قيمة الفلسفة باعتبارها بحثاً ميتافيزيقياً يخضع للتأمل العقلاني دون أن ينغمس في واقع المعاش، ولا يراعي أحوال الناس ومشاكلهم اليومية مقارنة بالعلم، من هنا أصبح من الضروري أن يتجدد البحث الفلسفي تماشياً مع هذه المستجدات التي يعرفها المجتمع، سواء تعلق الأمر بالبحث عن قضايا تمس الواقع المعاش مباشرة كالبينة والسياسة و الأخلاق التطبيقية والعمل الجماعي، لكن يبقى الجانب التعليمي بجميع مراحل الثانوي والجامعي أهم وسيلة يمكن الفلسفة من التقرب من الواقع من خلال دراسة قضايا داخل البرامج ومحتويات التعليمية، ولن يتأتى ذلك إلا من خلال إعادة النظر في هذه المحتويات والبرامج، وجعل الدرس الفلسفي يتماشى ومتطلبات الواقع فما هي الآليات والسبل لتحقيق ذلك؟

الكلمات المفتاحية: البيداغوجية-الفلسفة- التعليمية-العلم- العقلانية- الكفاءات.

Abstract :

One of the issues that occupy the attention of researchers in the field of philosophy, including university teachers and academic researchers, is the reality of philosophy today, especially since societies know a tremendous development in the fields of science and technology, which prompted many to question the value of philosophy as a metaphysical research subject to rational contemplation without immersing itself in the reality of living, nor it takes into account the conditions of people and their daily problems compared to science. From here, it has become necessary to renew philosophical research in line with these developments that society knows. This comes to searching for issues that directly affect the lived reality, such as environment, politics, applied ethics and associative work. However, the educational aspect in all its secondary and university levels remains the most important means that enables philosophy to approach reality by studying its issues within educational programs and contents. This will not come except by reconsidering these contents and programs, and making the philosophical lesson in line with the requirements of reality. So, what are the mechanisms and ways to achieve this?

Keywords : Pedagogy-Philosophy-Educational-Science-Rationality-Competency.

المؤلف المرسل: د.شادلي هواري، الإيميل: houarichadli@yahoo.com

1-مقدمة:

أصبح من الضروري على المهتمين بالبحث الفلسفي أن يقفوا على حقيقة مفادها أن الفلسفة تأخرت في معالجة قضايا ومستجدات واقعنا المعاصر مقارنة بالعلم الذي احتوى معظم مشكلاته وسعى إلى حلها محققاً للبشر إنجازات هامة وضرورية جعلته يأخذ مكاناً مرموقاً داخل المجتمع وفي أوساط الساسة وأصحاب القرار، في المقابل بقيت الفلسفة غائبة تقبع في برج عال تتعامل مع قضايا ميتافيزيقية عامة تتداول بين المهتمين بها فقط، وكثيراً ما يتساءل هؤلاء المهتمين عن سبب إعراض عامة الناس بما فيهم النخبة عن الفلسفة وتتأسى هؤلاء أن لهم قسط من المسؤولية بسبب الإبهام الذي يعتري تحليلاتهم واستخدامهم للعبارة الغامضة وغير المفهومة البعيدة عن ملابسات الواقع، وتمسكهم بالطابع النظري في بحوثهم.

مما جعل جل محاولاتهم الفكرية حبيسة منطق خاص مغلق لا يتلاءم ومنطق الواقع وقضايا العصر، فهي منقطعة الصلة بمشاكل الحياة بحيث اكتفت بدراسة تاريخ الفلسفة والنظريات الفلسفية التي عالجتها قضايا أصبحت من التاريخ بينما يعرف المجتمع المعاصر قضايا وإشكاليات جديدة ومتنوعة كقضايا العلم والبيئة والسياسة والثقافة والقانون وحقوق الإنسان والعولمة، والتطرق لهذه المواضيع فلسفياً يستدعي بالضرورة وكخطوة أولى إلى تجديد البحث الفلسفي من خلال إعادة النظر في البرامج التعليمية، ومحاولة تجديد الدرس الفلسفي حتى يتماشى واليومي، ويهتم بالواقع المعاش وقضايا المجتمع والحياة ويستثمر مقولات ومناهج التفكير الفلسفي في معالجة قضايا الواقع والكشف عن أبعاده وتقديم الحلول المناسبة له. فالمشاكل الاجتماعية كالبطالة والفقر وانتشار الأمية والمشاكل الاقتصادية المتعلقة بتنظيم الشغل والتنمية وإنتاج الثروة وقضايا السياسة المتعلقة بتسيير نظام الحكم ومشكلات حقوق الإنسان والعدالة والقانون والبيئة، كلها قضايا الواقع اليومي تفرض على المشتغلين بالفلسفة معالجتها والتطرق إليها وبرمجتها كمواضيع دراسة في برامج تعليم الفلسفة، سواء في الطور الثانوي أو الجامعة، لذلك سوف نحاول في هذا المقال أن نعالج هذه الإشكالية من خلال التطرق إلى البرامج التعليمية في الجزائر، محاولين تبيان بعض النقائص التي تعتري هذا البرنامج مع تحديد الوسائل والآليات التي تمكن الفلسفة من مسايرة قضايا الواقع، لذلك يبقى إعادة النظر في البرامج التعليمية ومحورتها حسب متطلبات الواقع، من الأولويات لتدارك التأخر الذي تعاني منه الفلسفة اتجاه قضايا الواقع، إذ كيف يمكن محورت الدرس الفلسفي حتى يتماشى ومتطلبات الواقع؟ وما هي الآليات والسبل لتحقيق ذلك؟ وكيف يمكن للبحث الفلسفي أن يتموقع داخل قضايا الواقع الاجتماعي من خلال إعادة النظر في التعامل مع تاريخ الفلسفة من جهة ومع مستجدات الواقع المعاصر من جهة أخرى؟

للإجابة عن هذه التساؤلات حاولت أن أعالج الموضوع من خلال بعض المحاور، التي تحتاج إلى قراءات مختلفة ومفصلة عن القراءات الموجودة، ويتعلق الأمر في البداية بالتطرق إلى بعض النقائص في محتويات برامج التعليمية واقتراح مواضيع أكثر فعالية وواقعية.

2- الدرس الفلسفي في الطور الثانوي وأفاق التجديد

يبدأ تدريس الفلسفة في الجزائر في المرحلة الثانوية، وهي مرحلة نظامية تعليمية جد مهمة بالنسبة للتكوين القاعدي للتلاميذ في مرحلة المراهقة، وهي مرحلة تتغير فيها ملامح الشخصية وتتضح معالمها المستقبلية، وإقحام تدريس الفلسفة في هذه المرحلة ضروري من أجل تكوين ثقافي متماسك يساهم في عملية التنمية من خلال ربط العلاقة بين الفلسفة والحياة العملية، فالنهضة الفكرية والثقافية داخل المجتمعات تحتاج إلى تكوين الفرد وتنمية الوعي الفكري والسياسي والاجتماعي والثقافي، لذلك وجب اختيار برامج تعليم الفلسفة بكل عناية ودقة، فالدرس الفلسفي الفعال يساهم في البناء الفكري والحضاري للمواطن، وهذا البناء يستدعي أن تكون البرامج متنوعة لا تقتصر على الجوانب النظرية في سرد تاريخ الفلسفة بمختلف نماذج وأطواره فلا يمكن تحويل الدرس الفلسفي إلى درس في تاريخ الفلسفة، يقتصر على سرد نظريات تقليدية بطريقة جافة ومملة، وللأسف هذا ما هو متداول في حصص تدريس مادة الفلسفة.

لتفادي مثل هذه الأساليب اعتمدت الوزارة المعنية باتفاق مع الفريق التربوي للمادة الفلسفة من تغيير طريقة التدريس من التدريس بالأهداف إلى التدريس بالمقاربة بالكفاءات، قصد تجسيد قطيعة مع التصورات التقليدية في ممارسة التفلسف، حيث انتقل مركز الفعل التربوي من الأستاذ إلى المتعلم، وتحول مجال الاهتمام بالقضايا المفاهيمية إلى مجال الاهتمام بالفكر النسقي، وإتباع أسلوب بيداغوجي قائم على المناقشة والحوار وإشراك المتعلم في العملية التعليمية من منطلق استثمار المعارف السابقة، فمحور العملية التعليمية في الفلسفة تقوم على إثارة الإستفهامات لدى المتعلم وتمارين العقل على استخدام المنطق والتفكير النقدي والهدف منها تنمية القدرات العقلية للمتعلم حتى يصل إلى المعرفة من تلقاء نفسه وهي معرفة تقوده إلى الأفعال الصحيحة والفضائل الأخلاقية التي تقضي إلى العيش الكريم، فمهمة الفلسفة لا تقتصر على مجموعة من الحقائق مثل سائر العلوم، بل في البحث فيما لم يتيسر الحصول على جواب عنه من مسائل، لذلك "كانت الفلسفة على الدوام ومن حيث ماهيتها مرتبطة بتعليمها أو على الأقل بيداغوجياً ستصبح في مرحلة معينة من التاريخ تعليماً بالمعني الضيق للكلمة بحيث تتداخل في إطار الممارسة التربوية" (ديريدا، 2010، صفحة 188)

لكن رغم كل هذا الجهد وجد الأساتذة صعوبة في طريقة التدريس في الواقع التعليمي، بسبب عدم ملائمة محتويات البرنامج التعليمي في مادة الفلسفة مع طريقة المقاربة بالكفاءات والتي تحتاج إلى وضعيات حسية واقعية لبناء مشروع الدرس، وهذا يصعب تحقيقه في مادة الفلسفة نتيجة الطابع النظري لمحتويات البرنامج، إضافة إلى نقص التدريب المنهجي على الكفاءات والمهارات اللازمة لإنجاح الدرس الفلسفي، خاصة ما يتعلق بالمرونة الديداكتيكية التي تجعل الأستاذ متكيفاً مع أجواء القسم وشخصيات التلاميذ والصعوبات المترتبة عن المادة، ويتحرر من طريقة التلقين التي تعود عليها سابقاً هكذا يسهل عليه إيجاد الحلول وبسرعة لكل المشاكل التي تعترضه أثناء ممارسة العملية التعليمية التعلمية، هذا التباعد بين طريقة التدريس ومحتوي المادة أدى إلى ظهور اختلال في طرح الإشكاليات، وسوف أقوم بعرض بعض الملاحظات العامة في هذا الشأن تتعلق بالأقسام الأدبية.

2-1- التعليم في السنة الثانية آداب وفلسفة:

المتنوع لبرنامج السنة الثانية ثانوي لمادة الفلسفة في الجزائر، يجد أن جل المواضيع يغلب عليها الطابع النظري وكثرة المفاهيم والإشكاليات المصاغة بطريقة معقدة يصعب فهمها من طرف تلاميذ مبتدئين، ناهيك عن الملل الناتج عن عدم التواصل بين الأستاذ والتلميذ من الناحية المعرفية، فكثيراً ما يشعر معلم الفلسفة أن ما يقدمه ليس في متناول التلميذ خارج عن إستهائه، بحكم شعور التلميذ أن هذه القضايا لا تهمه وغريبة عن واقعه وثقافته، فيُغيب الأداء البيداغوجي ويلجأ الأستاذ للتلقين المباشر والإملاء الذي يرهق التلميذ بدون أية فائدة، أو يقوم باستتساخ الدرس والمقالات والمطالعة بحفظها عن ظهر قلب، كل هذه الممارسات تسير في اتجاه مضاد لتعليم الفلسفة.

فالإشكالية الأولى من محتوى البرنامج تتعلق بالمشكل والإشكالية، تم تناولها بطريقة تقتصر على تحديد المفهوم نظرياً وبصورة مجرد دون الإشارة على وقائع تصادف التلميذ في يومياته، تجعله يواجه مشكل أو إشكالية نحاول من خلالها معرفة تصرف التلميذ اتجاهها، كما أن الكثير من الأمثلة التوضيحية تشكل عائق أمام الفهم، بسبب سوء توظيفها وافتقارها لمصادقية وجدية الطرح، وابتعادها عن الواقع الحقيقي للتلميذ، بل بعض الأمثلة كانت محط للسخرية مثل " أيهما أسبق البيضة أم الدجاجة " وبعضها مبهم وغير مفهوم مثل " هل اللانهائي لانهائي حقيقة ".

جاءت الإشكالية الثانية من البرنامج تعالج موضوع المنطق الصوري ومدى مساهمته في تطابق الفكر مع ذاته دون النظر إلى الواقع، فالمباحث التي تحتويها هذه الإشكالية كمبحث الحدود والتصورات ومبحث القضايا والأحكام ومبحث الاستدلالات هي مفيدة وضرورية لتفكير التلميذ حتى يلتزم بالقواعد المنطقية شريطة أن نستخدم

الأمثلة الواقعية أو نستقرأ بعض القضايا الواقعية ونطلب من التلميذ أن يضع لها قياسات واستدلالات منطقية على ضوء ما درس في القسم مع التركيز على بعض المباحث الأساسية والتي نستعين بها في حياتنا اليومية كالقياس مثلاً، ومن المفيد أن نستعين بالمنطق الرياضي الرمزي في طور التعليم الثانوي خاصة بالنسبة للأقسام العلمية لما يتميز به من تناغم وانسجام يساهم في تنمية القدرات العلمية لدي التلاميذ.

يحتوي البرنامج كذلك على إشكاليات تتعلق بتاريخ الفلسفة بصفة عامة مع العلم أن هذا التاريخ يدرس في الجامعة طيلة العملية التكوينية للطلبة، بينما في التعليم الثانوية حجمه الساعي قليل لا يتناسب مع محتوياته المعرفية، إضافة إلى ذلك كثافة الأفكار والمعلومات وغموضها وارتباطها بمرحلة تاريخية معينة، فهي تعالج إشكاليات تاريخية تختلف عن إشكاليات العصر وقضايا الواقع المعاش، فالتفلسف في القضايا الواقع تتم من خلال فهم إشكالاته المعاصرة والواقعية القائمة على المعاشة والقصدية وليس من خلال آليات الماضي.

هل هذا يعني أننا نتخلى عن تاريخ الفلسفة؟ الإجابة تكون بالنفي لأننا لا نتخلى عن رصيد معرفي يحتوي نظريات وإشكاليات لفلاسفة كبار كانت كتاباتهم انعكاس لواقعهم الفكري والسياسي والاجتماعي، فاجتهدوا في البحث عن الوسائل والحلول لتحسين حياة الناس وترقيتهم عقلياً وعلمياً وسلوكياً، لذلك يبقى هذا التاريخ وسيلة نستند إليه في حالة وجود قضايا مشابهة في واقعنا المعاصر، وأن ننقي منه ما يساهم في فهم واقعنا وتحسينه، بحيث لا يمكن دراسة تاريخ الفلسفة كما تدرس الأحداث التاريخية في إطارها الزمكاني، بل تدرس من خلال المشكلات الأساسية المتعلقة بالمعرفة الإنسانية داخل سياقها التاريخي، وعرض تاريخ الفلسفة بوصفه تاريخاً للمشكلات عرضاً أفقياً تمتزج فيه النظريات الفلسفية مع معطيات الواقع المعاصر، وليس عرضاً عمودياً قائم على تسلسل محطات الفكر الفلسفي في عمقه التاريخي فقط. هذا العرض الأفقي لدراسة تاريخ الفلسفة يجعلنا نستفيد من التجارب الفلسفية للمذاهب الفكرية والنظريات التقليدية السابقة في التعامل مع معطيات الواقع، فننتقل من الفلسفة إلى التفلسف محاولين عقلنة الظواهر المحيطة بنا سواء كانت دينية أو سياسية أو اجتماعية ثقافية أو حتى أخلاقية.

لا يمكن حصر الفلسفة في إطار النظري المثالي ميتافيزيقي بعيد عن ملابسات الواقع المعاش، كما يروج لها من طرف أنصار المثالية، خاصة وأن هذه الفلسفة المثالية أفكارها بعيدة عن الفهم العميق، ومعرض للتأويل المستمر ومصطلحاتها غامضة يصعب على الطالب أو المبتدئ في البحث الفلسفي فهمها، فالغرض من دراسة الفلسفة تفعيل التفلسف في القضايا المحيط بنا وليس تعليم الفلسفة كأحداث تاريخية، لذلك يجب الاهتمام بالمواضيع الفلسفية المرتبطة بالجوانب العملية والحياة الواقعية في تاريخ الفلسفة بصفة عامة ومحاولة إعادة قراءة تاريخ الفلسفة من منطلق الفلسفة العملية، فالإطار النظري للدرس الفلسفي أدى إلى "ضعف حماس الطلبة بفعل الانقسام الذي

حدث بين دراسة الفلسفة وما يرتبط بها من علوم إنسانية أخرى وبين الحياة العامة وخاصة الاندماج الاقتصادي في الحياة" (الوقيدي، 1990، صفحة 261)

أما الإشكالية الرابعة من البرنامج تعالج مسائل تتعلق بالمذاهب الفلسفية كالعقلانية والوجودية والتجريبية والبراغماتية، لكن تم تناولها بطريقة سردية تقتصر على النظريات التقليدية ومواقف الفلاسفة سواء العقلانيين منهم أمثال أفلاطون وديكارت الذين أسسوا المعرفة الإنسانية على العقل أو موقف التجريبيين أمثال فرانسيس بيكون ودافيد هيوم، فالسؤال المطروح هل يمكن أن نجسد ما تدعوا له هذه المذاهب من طرق في التفكير ومن أدلة وبراهين على مستوي الواقع المعاش. وهل يمكن أن يصادف التلميذ مواقف داخل المجتمع تجعله يستخدم مكتسباته المعرفية في التكيف والتأقلم مع المحيط؟

تناول الكتاب المدرسي للسنة الثانية من الإشكالية الخامسة منه، بعض القضايا الفلسفية التي يمكن أن تكون أكثر ملامسة للممارسات الفعلية للفرد داخل المجتمع كقضايا الحرية والمسؤولية، العنف والتسامح، التنوع الثقافي والعولمة، وهي مواضيع لها صلة بقضايانا الاجتماعية والتي يمكن أن تؤدي دورا تنويريا في تنمية الوعي لدي تلامذتنا. شريطة انتقاء المواقف والأحداث الواقعية التي تمارس داخل المجتمع وحسن استثمارها واستغلالها كأمثلة للتحليل والبرهنة مع الإشارة إلى أهمية الظروف المادية الواقعية في البحث الفلسفي وقدرته على تنمية الوعي في علاقته مع الظروف الاجتماعية حتى يكتسب التلميذ إرادة فعلية على المواقف المحيط به وإمكانية تغييرها حسب الظروف والمصالح بحيث يشعر بأنه يمارس التفكير.

2-2- التعليم في السنة الثالثة آداب وفلسفة:

يكتسب تدريس الفلسفة في المرحلة الثانوية خاصة أقسام البكالوريا أهمية بالغة في التوجيه الفكري والسلوكي للتلاميذ، خاصة وأنها تستقطب عدد كبير من التلاميذ يتجاوز عدد طلبة الفلسفة في الجامعة، فمن الضروري الحرص على وضع برنامج يحقق تنمية بشرية تساهم في بناء الحضاري للمجتمع، واستغلال عامل السن لصقل شخصيات متميزة إيجابية في المجتمع تحمل مقومات التحضر، خاصة وإن مرحلة المراهقة تحمل أسئلة كبيرة تتعلق بقضايا جوهرية في الحياة، تحدد التوجه الفكري والعملية للتلاميذ بحسب ما يتلقونه من إجابات حول تلك القضايا، ودرس الفلسفة يعد حقل ملائم ومصدر مهم من مصادر هذه الإجابات، لذلك حاولت أن أستقرأ محتويات دروس الفلسفة في المرحلة الثانوية بالنسبة لثالثة آداب وفلسفة.

يحتوي البرنامج على ثلاث محاور أساسية المحور الأول يتعلق بإدراك العالم الخارجي، يشمل المواضيع التالية الإحساس والإدراك - اللغة والفكر - الشعور واللاشعور - الذاكرة والخيال - العادة والإرادة، أما المحور الثاني

يتعلق بالمشكلات الفلسفية كمشكلة الأخلاق والعدالة والنظم الاقتصادية والسياسية، وجاء المحور الثالث يعالج قضايا الإبستمولوجية وفلسفة العلوم كالرياضيات والعلوم الطبيعية في المادة الجامدة والحية ومشكلات العلوم الإنسانية. كلها مواضيع ذات أهمية بالغة بحيث تحمل إستراتيجية تساعد المتعلم على التكيف السريع مع مختلف المواقف التي يواجهها في حياته، ويسعى إلى محاولة التلاؤم والاستفادة من المتغيرات المتعددة التي تحدث في العالم المعاصر والتحولت التي يعيشها الناس في حياتهم اليومية، لأن التلميذ إنسان يحس ويدرك ويشعر ويتكلم بلغة ويتخيل ويتذكر، وبالتالي يجد أن هذه المواضيع تمسه مباشرة، هذا ما يساعده على المشاركة في الحياة الاجتماعية ويكون عنصر مفيد وفعال في المجتمع.

لكن ما يلاحظ أن هذه الدروس تعالج مواضيع تتعلق بمجال العلوم الإنسانية، فالمحور الأول يمس تخصص علم النفس وبطريقة مباشرة، هذا لا يعني أن الفلسفة لا علاقة لها بهذه المواضيع لكن يجب أن تعالج هذه المواضيع بالمنهج العقلي، فلا يمكن للفلسفة أن تتخلي عن منهجها العقلاني لحساب منهج آخر من مناهج العلوم الإنسانية سواء باستخدام المنهج الكمي أو الكيفي، بل تحافظ على وجودها داخل هذه العلوم من خلال تفعيل النزعة النقدية في قضايا النفس والمجتمع والسياسة، وبهذه المنهجية النقدية تصبح الفلسفة قادرة على أن تسير قضايا الواقع إضافة إلى ذلك يجب أن يحتوي البرنامج على قضايا واقعية تتعلق بمستجدات العصر، كالبينة والقانون والحضارة ومحاولة استثمار تاريخ الفلسفة خاصة المحطات الفلسفية التي غيرت من مجرى التاريخ، كما هو الشأن بالنسبة في الفلسفة الحديثة التي أسست لعصر النهضة والأنوار في أوروبا.

فمن الضروري أن يواكب الدرس الفلسفي الفعالية التتويرية للفلسفة داخل مجتمعاتنا ولا يقتصر على عرض نظريات ونماذج من التاريخ بطريقة جوفاء مغلقة تجعل طالب الفلسفة يعيش نوع من الغموض وعدم الفهم والاعتراب بسبب المفارقة بين الواقع المعاش و ما يدرسه من نظريات فلسفية، لأن الغرض من دراسة النظريات الفلسفية هو استخدامها كمقاربات في معالجة قضايا الواقع الاجتماعي و مستجداته، واقتراح الحلول لتجاوزها والنهوض بالمجتمع نحو التضرر والتقدم، والاستفادة من النظريات الفلسفية التي عالجت واقع المجتمع وقامت بتغييره نحو الأفضل وينطبق ذلك على فلاسفة التنوير.

لذلك فمن الأجدر إقحام المحتويات المعرفية لنظريات الفلسفة الحديثة التتويرية في برامجنا التعليمية، والإشادة بأعمال فلاسفة عصر التنوير أمثال روسو وفولتار ومنتسكيو في تغيير الواقع المعاش نحو الأحسن، والاستفادة من التجارب الفلسفية لعصر النهضة "خاصة التتويريين منهم بسبب دفاعهم الكبير عن حرية الفكر والحديث والنشر، ووضعوا حدا للسلطة المطلقة في الدين والسياسة، وجعلوا الناس يتمسكون بالحكومة الشعبية

وحقوق الشعب... فنحن مدينون بالشيء الكثير لعصر التنوير فيما يتعلق بالاستقلال السياسي والحرية الاقتصادية والتسامح الديني وإمكان التقدم الاجتماعي" (رايت، 2010، صفحة 154)

فانتقاء البرامج التعليمية ضروري وهام جدا خاصة عندما يؤخذ بعين الاعتبار المعايير العلمية والتربوية، وما يلاحظ عن برنامج السنة الثالثة آداب وفلسفة، ورغم تنوعه إلا أنه يفتقر إلى بعض الإشكاليات ذات العمق الفلسفي فمثلا درس الأنظمة السياسية أصبح يدرس بطريقة آلية يقتصر على عرض أنواع الأنظمة السياسية الفردي والجماعي وكأنك في حصة التربية المدنية وتم إهمال النظريات الفلسفية التي قليت في أصل الدولة، كما تمّ عرض مناهج العلوم الإنسانية دون الإشارة إلى الخلفية الفلسفية لهذه العلوم، فمحتويات برنامج السنة الثالثة آداب وفلسفة في معظمه لا يتعلق بمواضيع فلسفية محض.

كثيرا ما تحمل برامج الفلسفة معالم إيديولوجية معين يريد المشرع من خلالها تمرير خطاب معين سواء من حيث المضمون أو المنهج يرسم به طريقة التفكير تتماشى مع الإيديولوجية الرسمية للنظام القائم، فتتغير البرامج بتغير الأسلوب السياسي في البلاد، هذا الأمر صعب من تحقيق الأهداف التعليمية والتربوية والعلمية للدرس الفلسفي الذي نسعى من وراءه إلى تمكين التلميذ من القدرة على التفكير الحر العقلاني في اتخاذ القرارات المناسبة تعبيراً عن إرادته بعيداً عن كل الإملاءات السياسية الضيقة.

3- الدرس الفلسفي في الجامعة

كانت تُدرّس الفلسفة بالجامعة الجزائرية باللغة الفرنسية في السبعينات من القرن الماضي، واقتصر البحث الفلسفي حينها بدراسة الفلسفة الغربية على العموم والفرنسية على الخصوص، وبعد تعريب تدريس الفلسفة ساد الاعتقاد لدى الكثير من الفرنكوفونيين أن اللغة العربية غير قادرة على مسايرة البحث الفلسفي باعتباره بحثاً نشأ في الغرب، مما دفع بالكثير من الطلبة إلى العزوف عن دراسة الفلسفة والتوجه إلى تخصصات أخرى، وعلى الرغم من أن بعض الجامعات على غرار جامعة وهران وقسنطينة فتحت أقساماً لتدريس الفلسفة باللغة العربية إلا أن التأطير لم يكن كافياً بحكم أن جل الأساتذة كانوا من حملة ليسانس فتمّ الاستعانة ببعض الأساتذة من الدول العربية، فانحصرت معظم البحوث الفلسفية في الدراسات التراثية (فلسفة عربية إسلامية) بحكم التكوين القاعدي للأساتذة، إضافة إلى نقص في الوثائق من كتب ومقالات في الفلسفة الغربية الحديثة والمعاصرة" (بوساحة، 2017).

هذا الوضع لم يثبط الطلبة الراغبين في دراسة الفلسفة في اقتحام مواضيع الفلسفة الغربية الحديثة والمعاصرة منها إلى جانب دراسات في فلسفة العلوم، فتتنوع البحث الفلسفي وكان التكوين حينها على مستوى مقبول لأن الطلبة كانوا يختارون الفلسفة عن قناعة ورغبة منهم، وكانوا من أصحاب معدلات مقبولة، ورغم قلة أقسام الفلسفة التي

تواجدت في ثلاث جامعات فقط الجزائر العاصمة وهران وقسنطينة يتوافد إليها الطلبة من كل التراب الوطني باختلاف تصوراتهم وثقافتهم المحلية، فكان للمحيط الجامعي حينها دور في تنمية القدرات الفكرية للطلبة من خلال الندوات والنقاشات الفلسفية التي لم تقتصر على المدرجات وقاعات التدريس، بل شملت الساحات والإقامة الجامعية، مما ساهم في رفع مستوي الأداء الفكري لدى طلبة الفلسفة.

3-1- عوائق نجاح الدرس الفلسفي:

أما واقع تدريس الفلسفة في الجامعة الجزائرية في وقتنا الحاضر يعرف تأخراً نوعياً مقارنة بالتدريس في الماضي، وهذا راجع إلى عدة أسباب، من بينها أن فئة الطلبة المسجلين في قسم الفلسفة معظمهم من أصحاب المعدلات الضعيفة ناهيك عن عدم رغبتهم في دراستها لأسباب إيديولوجية ناتجة عن الأفكار الشائعة التي تم الترويج لها من طرف أصحاب الفكر المتطرف من أعداء العقلانية، على أن الفلسفة مجرد سفسطة وكلام فارغ تؤدي إلى الانحراف والخروج عن الدين، هذا النوع من التصور عرف اتساعاً في ظل نمو بعض التيارات الإسلامية التي تعتبر الفلسفة منتوج غربي مستورد دخيل عن الثقافة الإسلامية، وللأسف نجد بعض أساتذة الفلسفة من يروج لهذه الأفكار محاولين حصر البحث الفلسفي في الدراسات الإسلامية، وتحويل أقسام الفلسفة إلى فروع تابعة لقسم الشريعة.

كما أن الدراسات الفلسفية التي لها ميل نحو الفلسفة الغربية تعالج على أساس تبني، بمعنى يجد الباحث نفسه يدافع عن موقف معين دون تمحيص أو نقد، فيتطرق إلى إشكاليات فلسفية تتعلق بالحقل المعرفي للفلسفة الغربية دون محاولة ربطها ببيئته، فأصبحنا نهتم أكثر بما أنتجه الآخرون حول واقعهم، فجل الأبحاث تنطرق إلى إشكاليات لا علاقة لها بالمجتمع الجزائري، رغم أن هذه الفلسفات لها حمولة ثقافية واجتماعية وإيديولوجية تؤثر على الهوية والانتماء، فمن الصعوبات التي يواجهها تعليم الفلسفة في الجامعات هو عدم مراعاة الأهداف التي من أجلها وضع هذا التعليم.

علاوة على ذلك فإن جل الأبحاث الجامعية من مذكرات تخرج ماجستير أو دكتوراه تتعلق بمواضيع سبق التطرق إليها في الدراسات السابقة، بينما لا نجد بحوث تتعلق بواقعا الثقافي والحضاري للمجتمع الجزائري إلا نادراً، مما سبب ركوداً معرفياً وعائقاً أمام معالجة قضايا تهم المجتمع ومشكلاته وتمس الواقع المعاش، الأمر الذي أدى إلى فقدان خصوصية الفلسفة وفعاليتها، ورغم التغيرات والمستجدات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي يعرفها المجتمع نجد أن الدراسات الفلسفية في الجزائر لم تسير هذه التغيرات مما جعلها تبقى على الهامش.

عرف الإنتاج الفلسفي في الجزائر في الآونة الأخيرة تطورا ملحوظاً من حيث الوفرة، واجتهد الأساتذة الجامعيين في تأليف كتب متنوعة تلمس الكثير من فروع البحث الفلسفي وهي ظاهرة إيجابية من المفروض أنها ترفع من مستوي الأداء الفكري للدرس الفلسفي لكن ما يلاحظ أن الهدف من التأليف هو طلب القيمة الفكرية على حساب الحاجيات التعليمية المتعلقة بالبيداغوجية من جهة ومن جهة أخرى مضامينها بعيدة عن ملاسبات الواقع. "فمستقبل الفلسفة مرهون بالكتابات الفلسفية الهادفة لحل مشاكل المجتمع الجزائري خارج أغراض أصحابها في ملء سيرهم الذاتية، عن طريق التفكير في واقعنا تجنبهم عناء التفكير في المجتمع متحججين بتطور الفلسفة في الغرب" (حمادي، 2017، صفحة 118)

جانب آخر له أهمية بالغة في النهوض بالدرس الفلسفي في الجامعة يتعلق بالبرامج، فالكثير من المقاييس المدرجة في مسار التكوين مثل المقاولاتية والمخدرات، ورغم أهميتها إلا أنها تدرس بطريقة سردية بعيدة عن الحس الفلسفي، أو يصعب على الأستاذ الفلسفة أن يجد لها قاعدة فلسفية، إضافة إلى التداخل المعرفي بين المقاييس، مثلاً مقياس الفلسفة اليونانية ومقياس مدارس الفلسفة اليونانية مقياسين يحتويان على نفس المضمون المعرفي.، كما أن معظم الدروس الموجودة في برامج التدريس تكتفي بالعناوين الكبرى دون وجود تفاصيل توضيحية أو عناوين فرعية يتبعها الأستاذ تساعده في تحسين أدائه البيداغوجي وتحصيله العلمي، زد على ذلك عدم مراعاة التخصصات الفرعية للأساتذة أثناء إسنادهم المقاييس، هذه النقائص وغيرها سببها غياب إستراتيجية واضحة ودراسة معمقة في وضع برامج التدريس، وما لاحظناه كذلك هو أن هذه البرامج ليس لها علاقة بالبرامج التدريس في مرحلة الثانوية، فالطلبة الناجحون في البكالوريا الذين يختارون الفلسفة في مسارهم الدراسي يجدون صعوبة في تحصيل المعارف بسبب عدم وجود معارف أولية عن القضايا الفلسفية، ويجد الأساتذة أنفسهم أمام طلبة غير مهيين ولا مؤهلين لتلقي المعارف.

إلى جانب هذه المعوقات البيداغوجية، هناك أسباب أخرى خارجية ساهمت في تراجع أهمية الفلسفة في الجزائر تتعلق بالوظيفة، فعزوف الطلبة عن تخصص الفلسفة راجع إلى تناقص فرص الشغل فيه مقارنة بالتخصصات الأخرى، وهذا يعد سببا رئيسيا في عدم إقبال الطلبة على أقسام الفلسفة في ظل غياب إستراتيجية تربوية مستقبلية، إذ بإمكان توسيع الاختصاص ودراسة الفلسفة في الطور المتوسط أو على الأقل في الأولي ثانوي، وما زاد الأمر صعوبة وجود مدارس عليا احتكرت التوظيف لصالحها على حساب الجامعة.

3-2-أفاق الدرس الفلسفي :

إن النظرة السلبية عن الفلسفة تعود إلى غياب تصور حقيقي حولها، وتحويل هذا التصور إلى جانبه الإيجابي مرهون بمدى قدرة المشتغلين في ميدان الفلسفة من إيجاد طرق تعليمية للمادة من منطلق التحوّل الجدي في قضايا الواقع المعاش، واستحداث برامج تعليمية تحدد بكل دقة المقاييس المراد دراستها يراعى فيها المعايير العلمية وأبعادها الاجتماعية والثقافية، وقد تكون الطريق الجديدة في التدريس القائمة على إشراك الطلبة في العملية التعليمية، حيث لم يعد الأستاذ هو مصدر الوحيد للمعرفة، بل بإمكانه أن يستعين بوسائل أخرى خاصة في ظل التطور التكنولوجي وسرعة وصول المعلومة.

إن تنوع مصادر المعرفة تمكن أستاذ الفلسفة من تفعيل الدرس الفلسفي بالطريقة السقراطية الحوارية القائمة على النقاش وإشراك المتعلم في العملية التعليمية بحيث يحسسه بأهمية التفلسف في قضايا المجتمع التي يعيشها محاولاً إيجاد حلول لها، وعلى أستاذ الفلسفة أن يكون على مستوى ثقافي وأكاديمي وأخلاقي يجعله مؤهل للقيام بمهامه التعليمية، ولا يترفع عن طلبته ولا يجعل منهم خصوصاً ولا يتخذ من نفسه قاضياً يصدر الأحكام ويحدد العقوبات لمن يخالفه في الطرح، بل يجعل من نفسه محامياً عن التفكير وعن الديمقراطية ومقاومة أنواع الظلم، وبذلك يحظى بتقدير واحترام، ويتخذ من وظيفته رسالة نبيلة يرسم بها طريق المجد لطلبته ويسعى للمساهمة في تقدم المجتمع، من خلال الحرص على الاجتهاد في تقديم أفضل ما لديه من مهارات تعليمية وقدرات علمية معرفية تجعل الطالب يهتم أكثر بالفلسفة فيسعى إلى تعلمها والاهتمام بها ومحاولة تطبيقها من خلال ممارسة فعل التفلسف في حياته اليومية حين يواجه المواقف، فتجعل منه مواطناً متميزاً يساهم بدوره في بناء المجتمع، وهذا هو المعنى الحقيقي للفلسفة فلا فلسفة بدون تفلسف، "إن الفلسفة بمعناها الأوسع غير منفصلة عن الحياة اليومية، بل هي متصلة بها متفاعلة معها لا تنقطع عن التأثير فيها والتأثر بها فهي نظرة إجمالية في الكون، وإتجاه فكري عام نحو الحياة في مجموعها، وهذه النظرة الإجمالية وهذا الاتجاه الفكري يؤثران بطبيعة الحال في تصرفاتنا اليومية وفي معالجة الحوادث التي تمر بنا" (مرحبا، 1977، صفحة 13).

من هنا أصبح من الضروري تجديد الفكر الفلسفي بثوب نسيجه خيوط الواقع وقضاياها، بداية بالتعريف بماهية الفلسفة وأهميتها في رفع المستوى الفكري، "فالفلسفة فعل امتياز تمارس الإغراء من خلال ما تقوله عن نفسها و ما تزعمه من تمرد عن كل عملية تحديد، متخفية حدود النسق" (الكبسي، 2007، صفحة 201)، والهدف من ذلك تفعيل العقول في فهم مشاكل المجتمع فهماً قائماً على العقلانية والعلمية، فالواقع هو المادة الخام لتأسيس المنظومة الفكرية، ويمكن لبرنامج الفلسفة أن تحتوي قضايا ومشكلات المجتمع على غرار البحث السوسيولوجي

والسيكولوجي، ولن يتأتى ذلك إلا من خلال رفع فعالية التكوين الفلسفي لدى الطلبة وتمكينهم من الأدوات والأساليب الفهم والتحليل والنقد التي تساعدهم على التفكير الصحيح في القضايا الاجتماعية المعاصرة، "فتعليم الفلسفة يدخل في نطاق بناء فكر الطالب الجامعي الذي يساهم بدوره في بناء شخصيته، والهدف من كل ذلك هو تحسين حياته وعيشها بشكل أفضل على الصعيد الفردي والجماعي، ليست الفلسفة منقطعة عن العالم بل إنها تدخل في صلب حياة الناس اليومية وهمومهم ومشاكلهم ساعيةً إلى وضع حد لكل ما يعيق الإنسان عن التقدم" (مالك، 2016، صفحة 61)

4-الخاتمة:

نستنتج مما سبق أن تدريس الفلسفة لا يعد أمراً سهلاً ولكن ليس مستحيلاً، يحتاج فقط إلى مجموعة من الآليات والوسائل إلى جانب المؤهلات البشرية، فإن توفرت بالصورة اللازمة تؤدي حتماً إلى نهضة فلسفية في مجال التدريس بطريقة تعيد للفلسفة قيمتها ومجدها الضائع، ولكي يتحقق ذلك يستدعي وجود مشروع منهاج فلسفي يعطي الأولوية إلى ضرورة تعلم كيفية التفكير والتفلسف، وليس جمع معلومات عن نظريات ومذاهب فلسفية بطريقة نسقية قائمة على التلقين فقط، لأن ذلك متاح في الكتب وعلى شبكة الأنترنت وبمجرد أن يلجأ إليها الطالب يجدها متوفرة.

إن نجاح الدرس الفلسفي مرهون كذلك بقدرة معلم الفلسفة على إدارة حصّة الفلسفة بطريقة تجعل المتعلم شريك فعال في سير الدرس من خلال تفعيل الحوار والمناقشة في قضايا تهم المتعلم وتشغل باله وتثير فيه الحاجة إلى التعلم، من خلال إثارة مواضيع تمس حياته اليومية وانشغالاته تثير فيه الدهشة والتساؤل والفضول المعرفي، والابتعاد عن المواضيع التقليدية التي لا تهم المتعلم في شيء، ولتحقيق ذلك لا بد من وجود برنامج يحتوي على دروس متنوعة تتعلق بالقضايا ومشكلات العصر.

تحقيق الفعالية في الدرس الفلسفي تحتاج إلى وجود مهارات علمية وبيداغوجية يجب أن يتمتع بها أستاذ الفلسفة، تبدأ من خلال التكوين الجيد في المسار الدراسي الجامعي ويقتصر هذا التكوين عموماً على المجال العلمي المعرفي لما هو ضروري من معلومات نوعية تفيد المتعلم مستقبلاً، خاصة وأن معظم طلبة الفلسفة يوجهون كأساتذة فلسفة في طور الثانوي إلى جانب التكوين أثناء ممارسة مهنة التدريس من طرف المفتشين ويشمل الجوانب الفنية البيداغوجية المتعلقة بتقنية وأساليب الممارسة التعليمية.

إن مستقبل الفلسفة مرهون بانفتاحها على باقي أنظمة المعرفة العلمية والثقافية الاجتماعية، ومواكبة التطورات الحاصلة على مختلف الأصعدة والميادين واقتحام البحث الفلسفي لمواضيع جديدة أمر ضروري يضمن للفلسفة بقاءها، وهذا الانفتاح يكون من خلال بوابة الدرس الفلسفي سواء في مرحلة الثانوية أو الجامعة.

5. قائمة المراجع:

1. بيار مالك. (2016). *الفلسفة وتعليمها* دار النهضة العربية. بيروت
2. جاك ديريدا. (2010). *عن الحق في الفلسفة*. (عز الدين الخطابي، المترجمون): المنظمة العربية للنشر. بيروت، لبنان
3. عمر بوساحة. (2017). *الدرس الفلسفي في الجزائر لماذا تأخرنا وتقدم غيرنا*. موقع سيميا <https://www.symia.cinseil.dz> ، الجزائر.
4. محمد الوقيدي. (1990). *تدريس الفلسفة والبحث الفلسفي في الوطن العربي*. دار الغرب الإسلامي. المغرب
5. محمد عبد الرحمان مرحبا. (1977). *المسألة الفلسفية*. منشورات عويدات. بيروت- باريس
6. محمد علي الكبسي. (2007). *قراءات في الفكر الفلسفي المعاصر* دار الفردق. دمشق سوريا
7. هواري حمادي. (2017). *الدرس الفلسفي الراهن والمستقبل. ملتقى الفلسفة والتربية المستقبلية*. الجزائر: الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية.
8. وليام كلي رايت. (2010). *تاريخ الفلسفة الحديثة*. (محمود السيد أحمد، المترجمون) التنوير للطباعة والنشر. بيروت لبنان